تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

# الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

# L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

**ORGANISE**

## الملتقى الدولي الحادي عشر

## Onziéme Colloque International

# التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

# Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

# المحور الرابع:

# الطرق الصوفية

# الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب إفريقيا
# خلال القرنين 18 -19

د. حوتية محمد
جامعة أدرار

الملخص:

مقدمة:

**لقد مر التصوف بعدة مراحل ابتداء من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ، ويمكن أن نلخصها على النحو التالي:**

المرحلة الأولى: **وقد بدأت هذه المرحلة باعتراف رجال الصوفية بوجود طريق محدد إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتطلب هذا الطريق الصلاة والدعاء ، وذكر أسماء الله الحسنى. وتعد هذه المرحلة بمثابة العصر الذهبي، لأنها اقتصرت على الشيخ وتلامذته، الذين ينتقلون من مكان إلى آخر دون أن يؤسسوا نظاما معينا.**

المرحلة الثانية: **وهي التي اتسع فيها نطاق التصوف نظرا لانتشار الإسلام شرقا وغربا وازداد نشاط الطرق الصوفية، وظهر عدد من العلماء البارزين أمثال الشيخ عبد القادر الجيلالي والشيخ أبو حامد الغزالي، وقد اتسمت هذه المرحلة بتطوير نظام التدريس في الطرق الصوفية، وظهور أنماط جديدة من الطرق الجماعية لإغراء الناس على قبول الطرق.**

المرحلة الثالثة: **تشهد هذه المرحلة توسعا في المجال الروحي لمشاهير الصوفية بتنظيماتها الحالية، وانتشار الطرق بشكل واسع، وتحويل الولاء لشيخ الطريقة، وقد ازداد عدد الطرق وازداد نشاط الطرق في القرن السادس عشر كرد فعل للاستعمار الأوروبي، ومحاولات تطويق المسلمين وطردهم من ديارهم والصراع الذي دار بين الطرفين على سواحل أفريقيا الشمالية وغربها.**

**لقد أصبحت الصوفية تمثل نشوة دينية أتخذ منها المجاهدين في الدين الاسلامي وسيلة للتقرب إلى الله، واللجوء إليه لمواجهة الأخطار الاستعمارية التي أحاطت بديار الاسلام.**

**تقوم الحياة الروحية بمنطقة توات والأزواد على حركة التصوف التي نشرتها الطرق الصوفية**

**هذا وأن التصوف[1] عبارة من ذهب منظم يشير إلى مراتب صوفية مختلفة ويدل على الحقيقة في محاولة محاسبة النفس على الأفعال وفهم الآداب خاصة به، وقد مر التصوف الإسلامي**

[1] أما رجال الطرق الصوفية انقسموا حول أصل كلمة التصوف فمنهم من قال: إن الصوفية اسم مشتق من الصوف بوصفه اللباس الغالب على هؤلاء المتصوفة وأنه اسم قديم وجد قبل ظهور الإسلام ، ويرى آخرون أن الكلمة مشتقة من دار الصفة وهي الصومعة التي يأوي إليها جماعة من فقراء المسلمين للإعتكاف والعبادة وكان الناس يقدمون لهم ما يصدقون به عليهم من الطعام والمال ،و هذه الجماعة

**بعدة مراحل حيث كان أوله زهداً في الدنيا وانقطاعاً لعبادة الله عز وجل ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة ثم تحول إلى الحاد وخروج عن دين الله وقد عبر عن هذا التحول أحد كبار الصوفية [2] حيث قال « كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات»،و قد تشعبت الطرق الصوفية وأصبحت تنسب إلى أقطاب هذه الطرق وأهم الطرق الصوفية بإقليمي توات والأزواد الطريقة القادرية والموساوية والشيخية والتيجانية .**

**أ) الطريقة القادرية:تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح المولود بمدينة جيلان في مارس 470هـ/1077م والذي جاء إلى بغداد عام 488هـ/1095م ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد الغزالي،بعد وفاة أخيه أبي حامد الغزالي ويقال أنه لم يعتنق**

**أي فكر صوفي حتى حضر إلى مدرسة أبي الخير حمد الدباسي المتوفي 526هـ/1131م وقضى عبد القادر الجيلاني خمسة وعشرين عاماً يتجول في الصحراء العراق وفي عام 521هـ/1127م عندما كان قد جاوز الخمسين عاماً صار من أشهر العلماء في بغداد على الطريقة الحنبلية وكان يلبس لباس العلماء ولبس لباس المتصوفة ثم بني مدرسة لنفسه عام 528هـ/1135م اشتهر بورعه وتقواه لكن لم ينضم أحد إلى طريقته طوال حياته وبعد وفاته بدأ بعض الناس يسيرون على نهجه واستطاع أبناؤه نشر مذهب والدهم الذي يتسم بالولاء والإخلاص والطاعة والتواضع وصارت أوراد الطريقة القادرية تلقى قبولاً لدى عدد من الإتباع وأخذ تلامذته على عاتقهم نشر مذهبه في أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي حيث انتشر في القارة الإفريقية وعلى وجه خاص في شمالها فقد سيطرت الطريقة الصوفية القادرية في مراكش على الحياة الدينية والاجتماعية خلال القرون الموالية بعد دخولها .[3]و أصبح الشيخ علي الكنتي قطباً**

---

أمرها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن تهجر الصومعة فلا تأوي إليها ولا تعتكف فيها ثم قال كلمته المشهورة لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ولا يوجد لهذا الاسم في العربية مثيل لا من ناحية القياس ولا الاشتقاق والظاهر فيه أنه كاللقب ، فأما قول من قال أنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه لكن القوم لا يختصوا بلبس الصوف ، ومن قال أنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفي ومن قال أنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في معنى اللغة العربية ومن قال: أنه مشتق من الصف فالمعنى

صحيح ولكن اللغة لا تقضي هذه النسمة إلى الصف ، ثم أن هذه الطائفة أكبر من أ يحتاج إلى قياس لفظ أو اشتقاق »

أنظر:أبو الوفا الغنيمي التفتزان. الطرق الصوفية في مصر ،مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة، 1968، ص56

وابو حامد الغزالي . مختصر إحياء علوم الدين ، تحقيق وتعليق شعبان محمد إسماعيل . القاهرة: د.ن.، 1978م ص 7.

وأبو القاسم النيسابوري . الرسالة القشيرية في علم التصوف .- بيروت: المكتبة العصرية ،د.ت.، ص 279-282

[2] هو محمد بن موسى الواسطي من بلاد تركستان كان عالماً بالأصول دخل خراسان ومات بها عام 331هـ/942م انظر الرسالة القشيرية للنيسابوري ، ص 439.

[3] أحمد شلبي . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الجزء 6.ط.4 . د . م: مكتبة النهضة ، 1983 ص211.

**للطريقة القادرية عندما انتقلت قبائل كنتة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي إلى واحات توات وحملوا معهم الطريقة القادرية وفي هذه الواحات انتشرت الطريقة القادرية في النصف الثاني في القرن الخامس عشر ميلادي وكان شيوخ الكنتة يزورون برنو يتبعون الطريقة القادرية [4].**

**وفي عام 957هـ 1550م بدأت أفكار جديدة تؤثر على الطريقة القادرية في وسط السودان وغربه، جاءت هذه الأفكار من الشرق عبر مصر وتركيا وظهر الشيخ الزروق الذي يعتبر من أهم رجال الطريقة في أغاديس ومن هذه المدينة انتقلت أفكار وآراء الشيخ الزروق إلى الشيخ المختار الكبير الذي ساعده بدوره على نقل تعاليم الصوفية القادرية إلى جماعة القولاني في بلاد الهوسا [5]، وانتقلت الطريقة بعد ذلك إلى منطقة النيجر حيث ساعد الفقيه محمد الأنصاري على نشرها وفي أوائل القرن 12 هـ الثامن عشر ميلادي أسس شيوخ الكنتة مدينة مبروك التي صارت مركزاً لنشر الطريقة القادرية وظهر بين جماعة الكنتة عددكبير من الفقهاء الذين صارت لهم الزعامة الدينية في القرن 13هـ 18م وتوسعوا خارج الحدود القبلية وظهر عدة شيوخ حملوا لواء الطريقة القادرية تعليماً وتأليفاً وممارسة [6].**

**فقد ظهر من أهل المنطقة مشائخ اتصفوا بالكمال من الناحية الدينية والروحية فحازوا على مراتب بين قبائلهم وأوكلت لهم مهمة الإشراف على الطريقة القادرية فنسقوا بين المريدين وأحيوا المناسبات وأدخلوا الطريقة القادرية العديد من الأقطار فقد استطاعوا عن طريق تكوين( مقدمين) [7] مهمتهم نشر الطريقة حسبما جرت به العادة إذ يكلف المقدم وخليفته بالعمل مباشرة بعد ما يتسلم سجادة أو سبحة أو عكاز الشيخ الذي يأخذ عنه الورد [8]و لقد انقسم الشيوخ المرتبطون بالطريقة القادرية إلى قسمين القسم الأول ويمثله ممن كان يحظى بسمعة كبيرة لدى العامة تنسب لهم كرامات وأقوال كانت محل تصديق الجميع وقد جمع أصحاب هذا الصنف بين التصوف والتأليف والتعليم والفتوى ولهذا نجدهم تركوا**

---

أنظر ايضاً:

عبد القادر الجيلاني . سر الأسرار ومظهر الانوار ، تحقيق خالد محمد عدنان الزرعي ومحمد غسان نصوح عز قول–دمشق: دار السنابل ، 1994م

عبد القادر الجيلاني . الفيوضات الربانية في الاثار والاوراد القادرية ، جمع وترتيب الحاج اسماعيل بن محمد سعيد القاري . د.م: مطبعة الباب الحلي د.ت

[4] عبد الرحمن بن خلدون . المقدمة ، ج . 1 الفصل 17 في علم التصوف ص 863– 882.

[5] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم . أضواء على الطريقة الصوفية في القارة الإفريقية .د.م: مكتبة مدبولي ، 1990 ، ص 37.

[6] أبو نصر السراج . كتاب اللمع للطوسي تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود . القاهرة: د.ن، 1960 ، ص 47.

[7] المقدم في اصطلاح الصوفية يطلق على من ينوب صاحب الطريقة في منطقة من المناطق ويكون من الشيوخ المعروفين بالعبادة وإخلاصهم للطريقة .انظرا:

Xavier coppolani , Octave Depont . Les confréries religieuses musulmanes .Alger: Adolphe Jourdan , 1897,p 195.

– محمد بن عبد الله . الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني .د.م: مطبوعات الحاج عبد السلام ، د.ت.،ص 31.

[8] الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكنتي ، المصدر السابق ، ص 184.

أعمالا جليلة في الدعوة للطريقة القادرية بالمناطق التي عاشوا بها والمحاذية لهم مثل الشيخ مختار الكبير الذي عرف بعلمه وتأليفه العديدة في علوم الشريعة وتعمقه في الطريقة فقد ألف فيها كتاب اسماه الكوكب الوقاد ونظرا لأهميته في الطريقة قال فيه ( يجب أن يسمى أسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى ) تناول في بداية مخطوطه أسس الطريقة القادرية ومؤسسها فذكر كرامات ومزايا ورده

بالإضافة إلى فضل الأذكار وأهميتها في الحياة الدنيا والآخرة [9] وهذا وقد ترك الشيخ المختار الكبير العديد من التصانيف في الأذكار أبرز من خلالها مناهج التربية الصوفية السليمة كما يراها هو « تلك المبنية على عنصر المحبة ويقسمها إلى قسمين رئيسيين: المحبة المفروضة وتتمثل في امتثال الأوامر وعدم ارتكاب المعاصي وأي تقصير في الواجبات معناه الوقوع في المحرمات والتقصير في العبادات وعلى كل مبتدئ أن يوازن ما بين الناحيتين حتى يستطع أن يدرك المحبة المفروضة والقسم الثاني المحبة المندوبة التي يصلها كل من حقق القسم الأول (المحبة المفروضة) وأعطاها جميع حقوقها عندها يدخل المريد في المرحلة الثانية من المحبة المرتكزة على القيام بالوجبات ثم النوافل والابتعاد عن المحرمات مع عدم الوقوع في الشبهات»[10] و يعتبر الكنتون أكثر شيوخ المنطقة إسهاماً في علم التصوف بصفة عامة وبالطريقة القادرية بصفة خاصة تجلى ذلك في رسائل وقصائد وكتب فللشيخ المختار الكبير قصيدة في السلسلة القادرية ونازلة في التصوف وإجازة في الأوراد والأحزاب [11] وإجازة في الورد ورسالة إلى احد مريديه، ومثله الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبير الذي ترك إجازة في الأوراد والأحزاب القادرية ومخطوطاً في الأدعية والأذكار وقصيدة الإبتهال وجواباً على ثلاث مسائل في الورد القادري وقصيدة في الأدعية والتوسل وبهذا فقد تفاوتت هذه المصنفات [12] في محتوياتها وعدد صفحاتها إلا أن القاسم المشترك بينها إضافة تراث وإثراء هذه الطريقة العريقة المنتشرة في إقليم توات والأزواد .

والقسم الثاني من شيوخ الطريقة يندرج تحته صلحاء من الشيوخ الذين اشتهروا بالزهد في الحياة وكثرة الأذكار وخدمة العامة واشتهروا بالكرامات ومواقف خالدات وأكتفوا بالعبادة والأوراد ولم يتركوا مؤلفات في ميدان الأدب أو الفقه وإنما خلدت أسماؤهم في الذاكرة الشعبية بتوات والأزواد نظراً لما اشتهروا به من أعمال خيرية خدموا بها للصالح العام وأفنوا حياتهم في الزهد وضحوا بأموالهم وأعمارهم في سبيل الإصلاح كإصلاح ذات البين وإعانة الفقراء

والمحتاجين في الزوايا التي أسسوها وساهموا في تسييرها لتؤدي دورها الخيري لكل المسلمين وأبناء السبيل وبعد وفاتهم خلدت قبورهم بأضرحة وزيارات سنوية يتوافد الناس القاصي والداني من أبناء

---

[9] الشيخ المختار الكبير – الكوكب الوقاد في فضائل المشائخ وحقائق الأوراد الخزانة العقباوية ( مخطوط ) أقبلي ص 112.

[10] الشيخ المختار الكبير . الجرعة الصافية ، مخطوط خزانة الشيخ باي بلعالم أولف ص 16 .

[11] الأحزاب مجموعة من الأذكار الراتبة شبهوها بحزب القرآن للمداومة عليها في أوقات معينة .

[12] انظر صورة لمخطوط الكوكب الوقاد الشيخ المختار الكبير .

منطقة الأزواد وتوات وهكذا نجد أضرحة هؤلاء الشيوخ وزياراتهم معروفة ومشتهرة من أكبرها زيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني .

ومن أضرحة شيوخ هذه الطريقة نجد ضريح الشيخ المختار بن محمد بن عمر بلوافي بقرية (الجديد) ونجد في زاوية كنتة ضريح أحمد بن محمد الرقاد ونجد في أقبلي ضريح الشيخ أمحمد بونعامة وغيرهم كثير بين توات والأزواد .

ومن أهم مظاهر وأنشطة الطريقة القادرية الورد القادري ويتكون أساسا من عدد معين من الركعات يقرأ في أولها فاتحة الكتاب مع سورة معينة وبعد التسليم من الصلاة يقرأ آيات محددة من القرآن ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوا دعاء عاماً يخص في نهايته مؤسس الطريقة القادرية عبد القادر الجيلاني [13] وعندها ينتهي الورد وأما كيفية أدائه فإنهم يقرؤون في الركعة الأولى سورة الكوثر ستاُ وفي الثانية سورة الكافرون ستاً وفي الثالثة سورة الإخلاص ستاً وفي الرابعة سورتي المعوذتين مرة وفي الخامسة (آية الكرسي) مرة وفي السادسة (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ) [14] مرة ويذكرون في المسجد قوله تعالى ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري﴾[15] ثم يقول (اللهم إني أستودعك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي كما سجل اتباع الطريقة القادرية ما حث عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس في صلاة التسبيح أخبره أن مصليها يغفر له ذنبه صغيره وكبيره أوله وآخره وهي أن يصلي أربع ركعات في كل ركعة يقرآ الفاتحة وسورة ويقول بعد قراءة السورة سبحان الله والحمد لله ولا إلا الله والله أكبر خمسة عشرة مرة وفي الركوع والرفع منه وبين السجدتين في كل ركعة عشرة ومن نسي بعض ذلك جاء به في الركن الذي بعده وإن شاء سلم من الركعتين هي الإصلاح بين الناس،وشمل سعيه في الإصلاح،الإصلاح بين القبائل والقصور المتنازعة، والتي كان ينتهي بها الأمر إلى القتال وإفساد الممتلكات وقطع المياه عن الخصم .قال تلميذه أحمد بن عبد الرحمان بن بودة في ذلك:

ومن لي بإصلاح قبائل فتنة * إذا أضرمت نار لقتل السفاهة

ومن يأمر الأعراب ثم الأعاجم * بإصلاح ذات البين عن شأن فتنة

ومن كلامه رضي الله عنه مع شيوخ بني جابر في شأن موضوع قطع الماء عن الخصم

(أنتم جميع من آذاكم أو عمل سوءا قل أو جل تبادرنا إلى مائه تقطعون وتردونه،فهلا تقابلونه بالصبر والعفو، أخاف على مائكم الذي جعلتموه سندا يذهب من ها هنا أو من ها هنا،وأشار بيده المباركة شرقا وغربا ) قال،فكان الأمر كما قال .

---

[13] ماء العينين . فتح البدايات وتوصيف النهايات . القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة ، د .ت . ، ص 204.

[14] قرآن كريم سورة الحشر الآية 21.

[15] قرآن كريم سورة طه الآية 25

**ومن وجوه سعيه في الإصلاح،إنتقاله للجهات والقصور المختلفة لرد ما غصب من الأموال والمنقولات، والحض على صيانة أموال اليتامى والقصر، ونصح المعتدي عليها ورد الديون والرهون التي لم يتمكن مستحقيها من إستيفائها لوقوعها في أيدي المتنفيذين وبالجملة كان سعيه رحمه الله في الإصلاح وجبر الضرر وإعانة الضعيف شاملا،واستعمل في ذلك ما فتح الله به عليه من الجاه والحرمة،وما رزقه من مال.ولم يدخر وسعا في إيصال النفع إلى العامة،**

**وبذل طاقته في الإصلاح والتوفيق والقضاء على أسباب النزاع،جزاه الله عن المسلمين خيرا ووفر ثوابه في العقبى بمنه ورحمته وكأنه المعنى بقول عبدة بن الطيب:**

**وما كان قيس هلك واحد * ولكنه بناء قوم تهدما**

الطريقة التيجانية:

**احتلت الطريقة التيجانية المكانة المرموقة في الوسط التواتي والأزاوادي وهذا ما يتوجب التعريف بها لكونها من الطرق الصوفية المنتشرة في القارة الإفريقية خاصة في الجزء الغربي منها وتنتسب إلى الشيخ أبي العباس بن أحمد بن محمد بن مختار التيجاني الذي ولد في قرية عين ماضي بالاغواط بجنوب الجزائر عام 1150هـ/1737 [16].**

**وفي عام 1171هـ /1757م سافر التيجاني إلى فاس للبحث عن شيوخ الصوفية في هذا المركز الديني،و هناك درس الطرق الصوفية،ثم ذهب إل قرية الأبيض على مشارف الصحراء، حيث استقر في زاوية سيدي عبد القادر بن محمد،و مكث بها خمس سنوات استغل بعضاً منها في التدريس.**

**وفي عام 1186هـ/1773م بدأ الشيخ التيجاني رحلته إلى الحج التي واصل فيها متابعته للطرق الصوفية حيث توقف،ودرس بقرية أيت اسماعيل في بلاد القبائل زار فيها الشيخ أبي**

**عبد الله محمد بن عبد الرحمان الازهري وأخذ عنه الطريقة الرحمانية الخلواتية [17] ثم قضى عاماً في تونس حيث درس كتاب ابن عطاء الله السكندري ( كتاب الحكم )، وحقق نجاحاً في تدريسه لدرجة أن القائم على حكم تونس ( 1171هـ – 1757م 1197هـ – 1782م ) طلب منه البقاء في تونس للتدريس في مسجد الزيتونة وأغراه بالمال والمسكن الفاخر لكن الشيخ التيجاني رفض وقرر مواصلة رحلة الحج ...ووصل إلى القاهرة وبدأ البحث عن شيخ الطريقة الخلواتية، وألتقى به، وتعلم منه الكثير من مبادئ الطريقة،و أخيراً وصل إلى مكة في يناير 1188هـ/1774م واتصل هناك بشيخ هندي يدعى أحمد بن عبد الله بواسطة خادمه وبعد شهرين من هذا البقاء مات الشيخ وورث التيجاني عنه تعاليم الطريقة الصوفية**

---

[16] انظر علي حرازم .جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني ، ج 1 . القاهرة: مصطفى الباي الحلبي ، 1927.ص 29.

[17] محمد بن جعفر الكتاني .بسلوة الانفاس ومحاذاة الاكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس ، ج 1 طبعة حجرية ، المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 95 .ص 182.

**وفي طريق العودة إلى بلاده توقف الشيخ التيجاني في القاهرة حيث فوضه الشيخ محمد الخيضري في نشر تعاليم الخلواتية في شمال إفريقيا واتجه أحمد التيجاني إلى فاس بدلاً من مدينة عين ماضي، وفي عام 1191هـ 1777م اتجه إلى تلمسان بالجزائر مرة أخرى بسبب عودة الحاكم العثماني بالأغواط ثم انتقل إلى جبال قصور بقرية بوسمغون جنوب غرب البيض سنة 1196هـ-1781م حيث استقر بها مدة ثلاث سنوات زار خلالها إقليم عين ماضي.**

**وبوجوده في بوسمغون كثر مريدوه قصدته الوفود من جميع أنحاء الصحراء [19] حيث واصل نشر تعاليم الطريقة الصوفية حتى وافته المنية عام 1231هـ/1815م .**

**لقد ظهرت مبادئ الطريقة التيجانية من خلال مؤلفات بعض الأتباع وعلى رأسهم بن العربي في كتاب جواهر المعاني وبلوغ الآماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني [20] وانتشرت الطريقة التيجانية في غرب إفريقيا بفضل جهود الحاج عمر الفوتي التكروري (1210هـ-1795م/1281هـ -1864م) والذي تلقى وردها على أيدي الشيخ عبد الكريم بن أحمد النفيل الفوتا جالوني وقد وضع الحاج عمر أسس هذه الطريقة في كتابة الرماح (رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم) الذي يتكون من خمسة وخمسين فصلاً إلى جانب المقدمة والخاتمة ويتناول الكتاب عدة أمور مثل التشجيع على سلوك الطريقة التيجانية والحديث عن معنى الزهد عند الصوفية ويعتبر التيجانيون هذا الكتاب المرجع الأساسي للطريقة التجانية [21].**

**الأوراد:تقوم الطريقة التجانية على أوراد محددة تشمل الوظيفة والورد المعلوم .**

**ورد في المصادر التجانية،أن الشيخ التجاني لم يدرك مرتبة القبطانية إلا في شهر محرم من عام 1215هـ/1800م أي بعد سنة من هجرته واستقراره في فاس،و بعد شهر من ذلك،ارتقى إلى المقام الأحمدي المسمى بمقام الختم والكتم [22]**

**وقد تحدث الشيخ التجاني عن المقام القطب ووصفه بقوله " إنه أفضل جماعة المسلمين في عصره " ثم ذكر الختم فقال " إن أكمل العارفين وهو القطب الكامل لا تتجلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بلوغه المرتبة العليا حيث مراحل نشر الطريقة التجانية حتى واحته السنة عام 1231هـ -1815م بمدينة فاس بمعنى أن مرتبة القبطانية وإن أدركها بعض ممن سبقوه من الأولياء فإنه لا أحد أدرك أعلى مراتب**

---

[18] Louis Rinn Marabouts et khouan etudes sur l'islam en Algerie .Alger: Adolphe Jourdan,1884,p 418.

[19] Eugene Daumas Le Sahara Algerian etudes geographiques statistiques et historiques sur la region au sud des etablissements francais en Algerie .Paris: s.n.,1845,p 34.

[20] عبد الكريم العطار تاريخ الطريقة التيجانية المشرقة في البلاد المصرية القاهرة ( د.ت)ص 62.

[21] عبد الله الرزاق ،المصدر السابق ، ص 260 .

[22] وهو الذي يبلغ به الصلاح في الدنيا والدين ويختل في نظر أصحاب الطريقة العالم بموته .

**القبطانية لا من قلبه ولا من بعده لأن هذه المرتبة هي ختم الولاية وتسمى أيضا بالمقام المحمدي،و مقام الختم في القبطانية هي غاية الغايات ولا يدركها إلا شخص واحد،و هو الذي لا يكون بعدة لغيره [23]**

**ويستند التجانيون في تأكيد هذا المقام لشيخهم بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الذي أخبر شيخهم بذلك.**

**وعندما يناقشون هذه المسألة في كتبهم يقوون حجتهم بما رواه الشيخ ابن العربي فيكتابيه "الفتوحات الملكية" وعنقاء مغرب " من أن " قطب الأقطاب " و" خاتم الولاية " سيظهر بمدينة فاس، ومن علاماته الإنكار عليه، هذه الرواية يرى التجانيون أنها تصدق على شيخهم الذي بلغ هذه الرتبة وهو بفاس وتلقى الكثير من الإنكار .**

**وبما أن الطريقة التجانية إنفردت بهذه المراتب فإنها في نظر أتباعها تسمو على جميع الطرق الأخرى، وهو ما أثار جدلا كبيرا وأدخل الطريقة التجانية في صراعات عقائدية دفعت بخصوم التجانية من السلفين وحتى من أصحاب الطرق الأخرى إلى اتهام التجانية بالضلال .**

**وإذا عدنا إلى من دافع عن الطريقة التجانية نجدهم ينقسمون إلى متشددين بالغوا في تمجيد التجانية إلى درجة أنهم ألحقوا بها الأذى أكثر مما خدموها،نتيجة مغالاتهم فأتاحوا بذلك الفرصة لغيرهم لإعطاء البينة والحجج الدامغة على أن التجانية خارجة عن الشرع مستندين في ذلك مصادر الطريقة مثل " جواهر المعاني " و" الافادة الأحمدية " وغيرها.**

**فكثيرا ما يقف خصوم التجانية على مورد في " جواهر المعاني " من أن فضل تلاوة " صلاة الفاتح " المرة الواحدة منها تساوي من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة ألآف مرة [24] واعتبروه كفر ينبغي التبرؤ منه لا سيما وأنه ينسب إلى التجاني في كتاب " جواهر المعاني " قوله:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره بتلاوة " صلاة الفاتح " وأخبره عن فضل هذه الصلاة وأن هذا الورد ادخره له الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .الأمر الذي جعل خصوم التجانية يعتبرونه افتراء على الله ورسوله، بل مروق وخروج عن الدين [25].**

**أما المعتدل من اتباع الشيخ التجاني لا سيما المتأخرين منهم، حاولوا في الكثير من كتابتهم تبرير وتفنيد ما جاء في مصادهم واعتبروه دساً مقصوداً الهدف منه التشنيع بشيخ الطريقة وهو في**

---

[23] محمد بن محمد أكنسوس . الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التيجاني بلا تثبت .الجزائرية: المطبعة الثعالبية ، 1913، ص 24.

[24] ابراهيم القطان المختار ." من أقوال التيجاني " ، مجلة الفتح ، العدد 388 ، 1933، ص 4.

[25] محمد الهاشم الخطيب."النصيحة الإسلامية إلى المخدوعين بالتجانية". مجلة الفتح، عدد 408 ، السنة 09 ، 1934، ص16.

**نظرهم برئ من كل مانيب اليه واعتمدوا على مقولته "إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه [26].**

ويعتمده في ورده على:

**أولا الوظيفة: وهي قراءة فاتحة الكتاب ثم صلاة الفاتح:( اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم ....إلخ بعد يشرع في ذكر الوظيفة:( استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين مائة مرة ثم ذكر الجوهرة وهي مدح النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشر مرة ومن لم يحفظها يأتي بها ليلاً عشرين مرة مع دعاء الفاتح وتختم الوظيفة بالآية الكريمة ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ [27].**

**ثانيا: الورد المعلوم أن تستغفر الله مائة مرة ثم يصلي على النبي صلي الله عليه وسلم وتذكر ( لا إله إلا الله مائة مرة ) وتختم ذلك بالآية ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾**

**ثالثاً: الهيللة تذكر مرة في الأسبوع يوم الجمعة ما بين العصر والمغرب وهي كما يلي: (لا إله إلا الله ) من مائة إلى ألف وستمائة ويختم بدعاء الفاتحة**

**ويمارس التجانيون أوراد الطريقة بشكل هادئ ولا يغنون بالغناء أثناء المديح بل يجلسون في دائرة وينشدون الأذكار مرة كل جمعة بعد العصر وازداد انتشار الطريقة التيجانية في القارة الإفريقية[28] ومن العوامل التي ساعدت على انتشارها ذلك التكالب على القارة الإفريقية من جانب الأروبيين وما أعقبه من قيام الإدارة الاستعمارية بتجشيع رجال الصوفية بالمال وبسط النفوذ من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي عن طريق نشر البدع والخرفات التي نعوق المسلمين عن مقاومة مستعمر الأروبي، عرف الأروبيون رغبة رجال الصوفية في الحصول على المال والنفوذ، فراحوا يغذون هذه الروح حتى قال جوليان بأن حكومة فرنسا قد عرفت كيف تجمع المتصوفة حولها عن طريق التمويل والحماية .[29]**

**ولقد ساعد هذا التمويل على انتشار الطريقة التيجانية في أجزاء كبيرة من شمال القارة الإفريقية ووجد فيها الفرنسيون وسيلة للتفريق بينها وبين الطرق الأخرى حتى لا يتحد المسلمون ويقفون صفاً**

---

[26] انظرا: ابراهيم نياس الكولخي . البيان والتبين عن التيجانية والتيجانيين .ط.2 . ( السنغال ): مكتبة كولاك ، د.ت .

[27] قرآن كريم سورة الاحزاب الآية 56.

[28] عبد الكريم العطار . تاريخ الطريقة التيجانية المشرقة في البلاد المصرية . القاهرة: د.ن.، د.ت، ص 62.

[29] بن يوسف التلمساني. الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر– الحكم العثماني–الأمير عبد القادر – الإدارة الاستعمارية .رسالة نيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1998 ص238.

انظر: قدور بن رويلة . وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليان ،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم .الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1968 ، ص 95-96.

**واحداً أمام محاولات فرنسا لتغريب هذه المناطق ولعل هذه المناظرة ما بين التيجانية والقادرية تظهر طرفاً من تلك الصراعات التي كانت في الجنوب الجزائر بعين ماضي ثم ألقت بظلالها في غرب افريقيا .**

المناظرة الصوفية ما بين التيجانية والقادرية:

**سبق وإن تعرضنا للطريقة القادرية والطريقة التجانية من حيث تأسيسهما وأورادها وأعمالهما إلا أنه ظهرت ما بين المريدين لكلا الطريقتين مناظرة أحد أطرافها من الأزواد بالضبط من تمبكتو ويمثل الطريقة القادرية والطرف الثاني بالمغرب وبالضبط مدينة فاس وقد تعدت مناظرتهما حدود هاتين الرقعتين بحيث تحمس كل طرف إلى طريقته وقادها بمدينة فاس أحمد أكنسوس.**

**ودافع عنها بقلمه وقد حفظ لنا التاريخ جانباً مهماً من ثقافة العصر التي كتب بها كل طرف عن طريقته وسنتناول في البداية التعريف بأحمد أكنسوس (1212هـ-1284هـ) هو أبو محمد بن أحمد ولد في قبيلة أدا وكنسوس في سوس ( 1211هـ-1212هـ) وبها نشأ إلى أن بلغ الثامنة عشر من عمره فتوجه إلى فاس لإتمام دراسته وأخذ عن أكابر أساتذة ذلك العصر .**

**فدرس السحر والتنجيم والتصوف فقد شغل على عهد السلطان مولاي سليمان على التوالي منصب الكاتب والوزير لكنه نكب لما بويع السلطان الجديد مولاي عبد الرحمان وألقى به في السجن وبعد أن أطلق سراحه استقر بمراكش ولم يغادرها حيث عاش عيشة زهد وتقشف طوال عهد مولاي عبد الرحمان وولده محمد وأوائل ملك مولاي الحسن، وقد فقد بصره في أواخر حياته وأدركته المنية يوم 14 فبراير 1294هـ/1877م ودفن خارج باب الرب بمراكش [30]**

**فقد عثرنا على العديد من الوثائق التي احتفظت بهذه المناظرة بعضها في شكل رسائل سنقدمها وبعضها في شكل كتب مطبوعة ومخطوطة مقروءة والآخر في شكل شعار .**

أولاً الرسائل:

**رسالة [31] أحمد البكاي إلى أهل مراكش يبتدئ هذه الرسالة بالبسملة والسلام وهي موجهة إلى مقدم الطريقة القادرية بمراكش مولاي المدني العلاوي الشريف والسيد عبد السلام بن الطاهر ومولاي الكبير بن مولاي الطائع جاء في الصفحة الأولى حسب قول الكاتب أنهم ذكروا عبد القادر الجيلي سلطان الأولياء ثم ذكروا أنه لا مثيل للتيجاني أما الصفحة الثانية فيرى أن التيجانيين يدعون أن من أخذ ورهم يحصل له المال والغنى ويكون يوم القيامة في عليين ثم يرى أن أحمد البكاي أن طريق الأنبياء والأولياء ليست مبنية على طلب المال وفي نفس الوقت يرى التيجاني انه لم يدع للتربية وإنما ادعاها له أصحابه**

---

[30] محمد الاخضر . الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ( 1664- 1894) ، ج 1. الدار البيضاء:دار الرشاد ، 1977. ص 431- 432.

[31] رسالة أحمد البكاي بعث بها من تنبكتو إلى أهل مراكش وخاصة الحاج محمد بن أحمد الصحراوي والحاج محمد عمور ومولاي المدني وغيرهم من الفحول موجودة بمركز أحمد بابا تنبكتو تحت رقم 297 بها خمسة أوراق مكتوبة بخط مقروء طول الورقة خمسة وثلاثون سنتيم وعرضها واحد وعشرون سنتيم .

**بعده طلباً للدنيا وفي الصفحة الرابعة يطلب منهم كثرة التواصل والتزاور في كل وقت وإلا ففي كل يوم أو في كل يومين أو ثلاثة أو في أسبوع ويطلب منهم أن**

**يكون اللقاء يوم الإثنين والخميس ويستشهد بحديث في الموطأ،( تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد المسلم لا يشرك بالله شيئاً إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا [32]**

**وفي النهاية طلب من مريديه أن يبلغوه تحياته ويدعوه للطريقة القادرية وفي نفس الوقت لا يترك الورد التيجاني فإنه ذكر إن أحب أن يستغني عنه بذكر آخر استغنى وإنشاء أضافه إليه ويطلب منهم أن يبلغه على أنه سيكتب له.**

**ولم تقتصر المناظرة بينها بالرسائل فنجد كل طرف يعمل ما في وسعه من أجل التعريف بخصائص طريقته وما يشتمل عليه من أذكار وأدعية تتجاوز بها الطريقة الأخرى ولم يقتصر الأمر عند كتابة الرسائل والرد عليها بل وصل إلى أن كل طرف بدأ يدون لطريقته ويرد فيها على الطريقة الأخرى فقد خلصت لنا هذه المناظرة بالمخطوط المسمى بالجواب المسكت في الرد على من تكلم في التيجانية بلا تثبت .**

**علماً وأن هذا المصدر يحتوي على عدة فصول تتعرض للرد على أقوال الشيخ أحمد البكاي وقد تناولنا فصلين بالدراسة فصل مفاده أن التيجاني ليس من أهل التربية وقد تناول هذا في الصفحة الخامسة والأربعين، كما يتناول في هذا المصدر أن التيجاني نهى أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء والأموات وهذا ما تناوله في الصفحة الخمسين من هذا المصدر علماً وأن هذين الفصلين من نقاط الاختلاف ما بين التيجانية والقادرية وفي نفس الوقت عثرنا على رسالة [33] أحمد البكاي إلى أكنسوس .تفتح بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ورد في الصفحة الأولى الحمد لله الأمر بالتواصل والإحسان وفي الصفحة الثالثة يقول أحمد البكاي إنما كذب على التيجاني رحمه الله حيث لم يراهم كذبوا عليه وأنه لا يريد أن ينتقص منتسباً إلى الله ولو كان كاذباً،تنتهي في شوال 1270هـ 1863م صفحة اثنان وعشرون .**

**يا كتابي لأحمد قبل يديه * بدلاً من فمي فتفيه احتشام**

**جوابه [34] أحمد أكنسوس عن أحمد البكاي طويل:**

**يبتدئ الجواب:**

**رعت بعدما أبدى باسمه الفجر * وزال عن الإشراق من ليلة الحجر .**

---

[32] أخرجه مسلم ف الصحيح –كتاب البر والصلة / 35 ، والإمام مالك في الموطأ / 908 والترمذي في الجامع / 23 . انظر: محمد السعيد زغلول .موسوعة أطراف الحديث، المجلد 4 (باب– الخيلاء) . بيروت: دار الكتاب العلمية، د.. ص397.

[33] الرسالة موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1071 بعنوان رسالة أحمد البكاي لاكنسوس طول الورقة 23 سم عرض 15 سم

[34] جواب عن رسالة من أحمد أكنسوس إلى أحمد البكاي الخزانة العامة بالرباط د 1604 طول الصفحة 21 سم عرض 12.5 سم .

**أسيدنا البكاي يامن إذا بدا * محياه حيتنا البشاشة والبشر**

**فهذا الجواب يبتدئ: من الصفحة إحدى عشر ومائة إلى أربعين ومائة أي حوالي تسعة وعشرون صفحة وقد أخترنا أبياتاً من الصفحة ثلاثة والعشرين والمائة .**

**إذا لم تذق ما ذاقت الناس في الهوى * فبالله يا حالي الحشا لا تعتقنا**

**فإن لم تدرك المعنى وتدري * حقائق بلا قول فلا تلمني**

**ومن حضر السماع بغير قلب * ولم يطرب فلا يلم المغني**

**وإن تك عاذلاً لا جهلت أمري * فدع عنك الملام وخل عني [35]**

**ويقول له وقد قيل إن المقر بالذنب كالمغتسل .**

كتب ورسائل الطريقة التيجانية

**تعددت كتب ورسائل الطريقة التيجانية التي عبرت من خلالها عن أفكارها ومواقف ردت بها على خصومها فهناك الرسالة المشهورة [36] المسماة بالجواب المسكت وهي في الرد على من تكلم في الطريقة التيجانية بلا تثبت فقد ورد في الصفحة العاشرة: " ولسنا أنكم تقولون الباطل حاش لله لكن المبطلون هم الذين بلغوكم غير الحق وقضيتم بما سمعتم " ويقول له أحمد أكنسوس:**

**ودعوتني وزعمت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت أميناً**

**وعرضت ديناً لا محالة أنه * ومن خير أديان البرية ديناً**

**ويحتويه هذا الكتاب على عدة فصول نذكرها:**

**فصل يرد فيه على قول البكاي: " إن التيجاني ليس من أهل التربية " فصل فيه نهي التيجاني أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء والأموات .**

**فصل في الشيخ سيدي أحمد البكاي الذي أرسل كتاباً لاكنسوس وأفشاه الرسول قبل وصوله إليه فانقلبت نصيحة فضيحة .**

**فصل يهدد فيه البكاي ويعتذر له أيضاً .**

**يقول أكنسوس لا تطمعوا أن تهينوناً ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم تؤذونا .**

**يقول ها أنا أقف عجزاً وإعياء .**

**يا كاتبي بالله قبل يديه * بدلاً من فمي ففيه احتشام [37]**

**رد الشيخ أحمد البكاي ولكن حسب رواة نساخه يرى أنه نسخه [38] أحمد البكاي لم تصل إلى أحمد أكنسوس بسبب وفاة أحمد البكاي 1282هـ – 1865م. أما فهرس المخطوط فيقع في آخر المخطوط**

---

[35] محمد بن أحمد أكنسوس ، المصدر السابق ، ص 140.

[36] تسمى الجواب المسكت في الرد على تكلم في الطريقة التيجانية بلا تثبيت طبع بالمطبعة العثمانية بالجزائر 1913 ، فهذه الرسالة يرد فيها على الشيخ أحمد البكاي ويحمل مسؤولية إلى من بلغوه عن الطريقة التيجانية وليس إلى أحمد البكاي .

[37] محمد بن أحمد أكنسوس ، المصدر السابق: ص 78.

**وبه تسعة وعشرون صفحة وقد أخترت بعض عناوينه. كتبوا كتابهم أي جوهر المعاني فمزقه ولم يرضه ذلك دليل على صلاحه لما تضمنه من الكفريات بالتصريح والتلميح . وأستمر أكنسوس إلى أن قال زعموا أن الاجتهاد انقطع ...الخ إلى أن قال والعمل بالعلم هو التربية .قال البكاي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزر أبا بكر ولا عمر ولا علياً ولا عثمان ولم يختصر مجالسهم فيزور ويحضر إلى مجلس التيجاني وسيدي محمد بن أحمد أكنسوس أني أكذب لهذا وأعذبه وطفق يعاتب على من يتصور هذا في عقله وعاتب سلطان وقته .**

**– أتدري ما هي القصة أن التيجاني جاء إلى الغرب وقد كل علماؤه واشتغلت أمراؤه وكثر الجهل قي أهله فادعى لهم دعاوى وأمناهم أماني ...الخ إلى أن قال إن من كلام التيجانية أن**

**طريقهم هي أخر الطريق فلا يأتي ولى بعدة بطريقة جديدة وبحث إلى أن قال ولا أحب أن أطول هنا إلى أن قال يا أكنسوس بحق أمامك مولانا عبد الرحمان رد أحمد البكاي على الرسالة المسماة بالجواب المسكت بكتاب ما يزال مخطوطا سماه فتح القدوس في جواب ابن عبد الله أكنسوس [39].**

**فهذا المخطوط يتناول فيه أحمد البكاي مزاعم التيجانيين أن الاجتهاد انقطع والعمل بالعلم هو التربية وينفي ما قاله أكنسوس في قوله أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر إلى مجالس التيجاني من حين أنه لم يزر أبا بكر ولا عمر ولا علياً ولا عثمان أجاب فيه عالم مراكش مخطوط موجود بمركز أحمد بابا بتمكتوا مكتوب بخط مقروء عنوانه مكتوب بحبر أحمر وأزرق وسائر الكتاب بحبر أسود عدد صفحاته أربعمائة وخمسون صفحة .فإن الأسباب التي جعلت التيجاني في أقواله بالمغرب وهذا بحسب رأي أحمد البكاي أنه جاء إليه في وقت قل علماؤه واستغل أمروه وكثر الجهل في أهله فادعى لهم دعاوى وأمانهم الأماني وجعلهم يقولون أن التيجاني هو آخر مؤسس للطرق الصوفية فلا يأتي ولي بعدة بطريقة جديدة .**

دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في القارة الإفريقية:

**وبغض النظر عن أسماء الطرق الصوفية ومسمياتها والآراء التي نادت بها والأفكار التي حاولت نشرها فإن هذه الطرق قد لعبت دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي في إقليم توات وحوض نهر النيجر ولو حاولنا فصل هذه الطرق عن الحياة الدينية بهذين الإقليمين لوجدنا أن المحاولة تؤدي إلى فشل من يتصدى لها وفي النهاية نقبل بهذا الطرق باعتبارها الحاكم في الحياة الإسلامية بإقليمي توات والأزواد رغم بعض الإدعاءات عن الانحراف الذي أصاب بعضها .**

**ومهما يكن فإن لكل من الطريقة القادرية والطريقة الموساوية والطريقة الشيخية والطريقة التيجانية أثر كبير في نشر الإسلام وتعاليمه الدينية في الزوايا والكتاتيب القرآنية وحلقات الذكر التي تكون**

---

[38] أحمد البكاي .فتح القدوس في جواب عبد الله أكنسوس .مركز أحمد بابا تمبكتو تحت رقم 373 لا يزال مخطوط .

[39] محمد بن أحمد أكنسوس ، المصدر السابق ، ص 27.

**بعد الصلوات الخمسي وفي أيام متعارف عليها بين مريدي الطرق الصوفية التي يكون في العادة ليلة الجمعة وفي نهارها هذه اللقاءات اليومية والأسبوعية ساهمت فيجذب العديد من**

**المريدين الجدد إليها ولزواياها المتواجدة والمترامية في الإقليمين سواء للتعليم أو الإطعام من جهة أو تنظيم حياة الناس من جهة أخرى نتيجة إلى الحركة الساكنة في ذاتها الملتفة حول نفسها[40] لما لها من ثقافة وإلهام روحي وزخم ديني من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية استطاعت بها من أن تحافظ على بقائها بإقليمي توات والأزواد .**

**إلى جانب آخر هذه الطرق عرفت نقله نوعية بسبب أول اصطدام حضاري ما بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية التي كانت تقودها فرنسا خلال القرن التاسع عشر في نشر تعاليم الطرق الصوفية، ولا ننسى ركب الحج في النقاط التي تتجمع بها الحجيج بالأزواد ثم توات والمدة الزمنية التي كان يستغرقها الركب والتي تدوم في الغالب سنة هذه أهمية تؤدي إلى تفاعل حضري بين الشيوخ والمريدين حيث كانت هذه الفترة من أنشط الفترات فقد شهدت ازدهار حركة الطرق الصوفية حيث وصل عددها بالجزائر حوالي أربع عشرة طريقة بالإضافة إلى الطرق الفرعية عن كل طريقة . فكان لكل شيخ أتباعه ونشاطه الخاص وأثناء عودة شيخ الطريقة مع ركب الحجيج ينضم له أضعاف ما كان المريدين نظراً للثقافة التي تحصلوا عليها والمقامات التي زاروها والدروس التي سمعوها طلبة سفرهم [41]، وقد أبدى علماء كنتة جهوداً في نشر الطريقة البكائية بشكل واسع وأعمق بإقليم الأزواد وحوض نهر النيجر فقد ألف الشيخ المختار الكبير أكثر من ثلاث مئة رسالة عن الإسلام والمسلمين بالأزواد وغرب إفريقيا وصارت تعاليمه التي حملها طلابه من أبرز العلامات التي ساعدت على انتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في حوض نهر النيجر وغرب إفريقيا وعندما وصلت الطريقة البكائية إلى هذه الجماعات أصبح يدين بها أغلب الملوك والثنيون واستمر الإسلام في الانتشار على طول الطرق التجارية وصارت محط القوافل مصدر إشعاع ديني وروحي في آن واحد[42] ومن مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي[43].**

**في نشر الطريقة القادرية مخطوط إحياء السنة وإخماد البدعة والمخطوط أصول الدين ومخطوط أصول الولاية وشروطها ومخطوط السلاسل الذهبية للسادات الصوفية ومخطوط السلاسل القادرية ومخطوط بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أحوال الملة المحمدية ومخطوط تعليم الأخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان .**

---

[40] حميد عميراوي. "الطرق الصوفية " مجلة مسالك ، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر العدد 03 ديسمبر 1998 ص83.

[41] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 40.

[42] نفس المرجع ص 38.

[43] هو أبو محمد عثمان بن محمد ابن عثمان المعروف بابن قودي أخذ ورد الطريقة عن عبد القادر الجيلاني وكان ممن يدعو إلى الله ويدل عليه وكابد ما هو المعهود من أخلاق الناس من الجفاء والإنكار والاستهزاء وكان يخاطبهم بقدر عقولهم .

الخـاتمـة:

**وقد ساعدت هذه المؤلفات على جعل الطريقة أكثر انتشارا في غرب إفريقيا فقد سيطرت على مجتمع شمال نيجيريا وامتدت إلى باقي أجزاء القارة الإفريقية وأدت إلى التصدي لكثير من البدع والخرافات التي سادت حوض نهر النيجر وجعلت من الشيخ عثمان بن فودي يقف بحزم أمامها ويؤلف الكتب للتخلص من البدع السائدة وقامت جماعات من أتباعه ومريديه بحملة للتدريس وتعليم الناس القضاء ونشر قواعد الدين الإسلامي باللغة العربية كتابة وقراءة وصارت**

**للطريقة القادرية في نيجيريا مراكز للذكر والصلاة إلى جانب التعليم والتدريس والإفتاء والقضاء ثم تطورت هذه الطريقة وصار لها طموح سياسي أرادت من وراءه توحيد المسلمين ونشر الإسلام في غرب إفريقيا وقد سار إلى جانب عثمان بن فودي أخوه عبد الله الذي شاركه في مجال الدعوة وقد عملا على نشر هذه الطريقة الصوفية.**

المصادر والمراجع المطبوعة:


- ابن الحجر العسقلاني:بلوغ المرام من أدلة الأحكام،الطبعة الثانية، أديس أبابا،مكشية مصعب بن عمير الإسلامية .د.ت.
- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله ):تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار،ج2،د.م المكتبة التجارية .د.ت.
- ابن تيمية:مجموع الفتاوي،جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد القاسم،ج 32 الرباط،مكتبة المعارف.
- ابن حوقل ( ابو القاسم ):صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة،د.ت.
- ابن خلدون ( عبد الرحمان ):كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 6، بيروت، دار الكتاب اللبناني 1289 هـ.
- ابن خلدون ( عبد الرحمان):المقدمة، بيروت دار القلم الطبعة الرابعة 1981 .
- البكري ( الحاج محمد عبد الكريم بن عبد الحق ):جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني،مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط .
- البلبالي ( الطيب بن عبد الله بن سالم ):مخطوط جريدة مختصرة في انساب أهل تيمي – خزانة كوسام .
- التمنطيطي، ( سيدي محمد بن عبد الكريم بن الحق ):مخطوط درة الأقلام في اخبار المغرب بعد الإسلام خزانة بن عبد الكبير المطارفة .
- التينلاني ( عبد الرحمان بن علي بن محمد ):رحلة من توات إلى الجزائر،مخطوط بخزانة كوسام تيمي.
- التواني ( عبد الرحمان بن عمر):مخطوط فهرسة اعلام توات،خزانة كوسام .
- إبراهيم (عبد الله عبد الرزاق ):اضواء على الطريقة الصوفية في القارة الإفريقية،د.م.مكتبة مدبولي 1990.
- إبراهيم ( عبد الله عبد الرزاق ):الصوفية والمجتمع في غرب إفريقيا،د.م.المكتب المصري لتوزيع المطبوعات 1999.
- بوعزيز ( يحي ):الطرق والأسواق التجارية في الصحراء الكبرى،تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19،الكويت،مؤسسة الفيلاج 1984 .
- جلال ( محمد ):دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب،دار النهضة العربية الطباعة والنشر،د.ت .

- **الجلول (محمد بن الحسن):الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي،ج1،المدينة المنورة، المكتبة العلمية،1977م.**
- **سرير ميلود:دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات.ج2،جامعة أدرار،2000.**
- **سعد الله ( أبو القاسم ):تاريخ الجزائر الثقافي،ج4،2،بيروت،دار الغرب الإسلامي 1998.**

المراجع بالفرنسية:

- ABEZTOUT ( Abderahime) , Touahri ( Abdelwahab), Architecture de la Tradition Ighrer , Alger ; s.n . 2001.
- BASSET ( R) , Touat: Reccueil de mémoires et de textes publié en l'honneur du 14: Congrés des Orientalistes , Alger , Fontana . 1905.
- BAKHLI ( Aoumeur ) et Tidjani ( Fouad) – Tamentit cité du désert Mémoire et anticipation ; Alger: s.n . 1989-1990.